

الفصل الخامس

كارل ماركس

(التفكير المادى)

- ١ - حياته
- ٢ - أهم كتبه
- ٣ - فلسفة ماركس
- المادية الجدلية - الجدل وقوانينه - المادية التاريخية
- الصراع الطبقي - نظرية المعرفة - نظرية فائض القيمة
- ٤ - ملاحظات نقدية لآراء وفكر ماركس
- ٥ - لماذا كارل ماركس

كارل ماركس Karl marx

(١٨١٨ - ١٨٨٣ م)

١ - حياته:

ولد في مدينة «Treve» (تريف) في ٥ مايو عام ١٨١٨م. كان والده يعمل محاميا ولكن له اهتمامات بالفلسفة، وكان والداه يهوديين، ثم انقلبا إلى اعتناق المسيحية وأصبحت أسرته «بروتستانتية» أتم ماركس دراسته الابتدائية والثانوية في مدينته، ثم أكمل دراسته العليا في جامعات بون وبرلين وبيننا. وقد درس ماركس التاريخ والفلسفة وتأثر بالفيلسوف الألماني «هيجل» وأثناء وجوده في جامعة برلين، انضم إلى جماعة من الطلبة يطلقون على أنفسهم اسم «الهيجلين اليسارين». في عام ١٨٤١م حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة «بيننا» ولكنه لم يعمل بالتدريس الجامعي. في عام ١٨٤٢م اتجه إلى الاشتغال بالصحافة وكتب عددا من المقالات يهاجم فيها الراجعية الألمانية مما أدى إلى طرده من عمله الصحفي، وشدة إيمانه وتمسكه بمبادئ الاشتراكية والشيوعية، وقد علمه والده كراهية الظلم والاستبداد، وحب الحرية والديمقراطية. في عام ١٨٤٣م تزوج من ابنة موظف كبير يعمل في الحكومة، وكان زواجه هذا عن حب عميق مما كان سببا في استمراره برغم ما تعرض له ماركس من مشاق وفقر طوال حياته. وفي نفس العام الذي تزوج فيه طرد من عمله الصحفي، فما كان منه إلا أن هاجر إلى باريس مع زوجته

حيث تعرف فيها إلى فلاسفة الاشتراكية الفرنسيين ، كما تعرف أيضا إلى صديق عمره «فردريك انجلز» اللذين ادركا وحدة الاتجاه الشيوعي عندهما ، وهذا هو سبب الصداقة الوطيدة بينهما.

فى عام ١٨٤٤م طرد ماركس من فرنسا فهاجر إلى بلجيكا حيث أخذ هو وأنجلز يقيمان صرح نظريتهما الجديدة فى الاشتراكية ، ولذلك عكفا على دراسة المذاهب الاشتراكية القائمة كما تعمقا فى دراسة التاريخ والاقتصاد السياسى ، ثم شرعا بعد ذلك فى مناقشة ومجادلة آراء معاصريهم من الفلاسفة والمفكرين فأصدروا معا كتابى «العائلة المقدسة» و «الايولوجية الالمانية» وكان ذلك فى عام ١٨٤٥م ، وفى عام ١٨٤٧م أصدر ماركس كتابا صغيرا يحتوى على مقدمة وفصلين بعنوان «فقر الفلسفة» يرد به على كتاب الفيلسوف الفرنسى «برودون» والذى كان يحمل عنوان «فلسفة الفقر» حيث نجد ماركس يسخر من آراء «برودون» ويتهمه بالجهل فى آرائه فى الاشتراكية والاقتصاد ، ثم يشرح رأيه هو فى المادية التاريخية. ويعتبر النقاد والمفكرون هذا الكتاب بداية لأفكار ماركس فى التفسير الاقتصادى للتاريخ ، وتحديد الأساس العلمى لنظريته فى الاشتراكية. وقد أراد ماركس وانجلز أن يضمنا أفكارهما النظرية فى الاشتراكية موضع التجربة والأختبار فقاما بالاتصال بالحركات العمالية فى أوروبا لإرشادها وقيادتها. وقد تم لهما ذلك عن طريق انشاء جمعية دولية لتوجيه الحركة الأشتراكية تحت اسم: «الدولية الاشتراكية»..

فى عام ١٨٤٨م أصدر مع صديقه انجلز كتابه الشهير والمعروف باسم: البيان الشيوعى والذى يحتوى على خلاصة فلسفتهما الاجتماعية. وقد

كان هذا البيان بمثابة برنامج لأول تنظيم للشيويعيين يتضمن المبادئ الجديدة التي يجب أن يهتدى بها العمال فى صراعهم مع أصحاب العمل البورجوازيين.

بعد قيام الثورة فى بلجيكا طرد ماركس منها فعاد إلى ألمانيا، ولكن ما لبث أن طرد منها أيضا، فسافر إلى لندن حيث استقر هناك.

فى عام ١٨٥٩م أصدر ماركس كتابه المعروف «نقد الاقتصاد السياسى» والذى يعتبر بمثابة مقدمة لكتابه الأشهر «رأس المال» والذى ظهر الجزء الأول منه عام ١٨٦٧م ثم كرس ماركس حياته لاستكمالها فألف جزأين آخرين نشرهما انجلز بعد وفاة ماركس.

فى عام ١٩٦٤م ساهم ماركس فى إنشاء «الاتحاد الدولى للعمال» ولكن هذا الاتحاد كان مآله الفشل حيث أنحل عام ١٨٧٢م بسبب الخلاف بين ماركس وإتباعه من ناحية وبين «باكونين» صاحب مذهب الفوضوية من جهة أخرى..

فى أواخر عام ١٨٨١م تقريبا ماتت زوجته، وقد لحقها هو بعد حوالى خمسة عشر شهرا تقريبا حيث توفى ماركس فى يوم ١٤ مارس ١٨٨٣م بعد حياة حافلة مليئة بالبحث والدراسة والتأليف وبالمشاركة الفعلية بالكفاح إلى جانب الطبقة العاملة. ومع ذلك كانت حياته بالغة القسوة والفقر أنجب كثيرا من الأولاد ولكن أغلبهم مات وهو ما زال فى مرحلة الطفولة ولولا مساعدة صديقه أنجلز له، لما استطاع أن ينتج أو يفكر، ولا انشغل بالبحث عن توفير وسائل المعيشة الضرورية أو لمات جوعا..

ومع ذلك فقد استطاع ماركس أن يترك أعماق الأثر فى الفكر الفلسفى عامة والفكر الاشتراكى خاصة، وترك لنا مجموعة من الآراء لازال الجدل

يستخدم حولها حتى الآن، برغم سقوط منظومة الدول الاشتراكية لأن الصين وكوبا لازالا يؤمنان بالاشتراكية والشيوعية.

٢ - أهم كتبه:

- * حول المسألة اليهودية أصدره عام ١٨٤٤م.
 - * نقد الاقتصاد السياسى نشره عام ١٨٤٤م.
 - * الايدلوجية الألمانية عام ١٨٤٥م.
 - * البيان الشيوعى «بالاشتراك مع انجلز» نشره عام ١٨٤٧م.
 - * الصراعات الطبقيه فى فرنسا وقد نشره عام ١٨٥٠م.
 - * رأس المال، وقد نشر ماركس جزءا واحدا منه أثناء حياته عام ١٨٦٧م، وقد نشر انجلز جزئين آخرين بعد وفاة ماركس. ويعتبر هذا الكتاب أهم كتب ماركس على الاطلاق.
 - * تاريخ العقائد الاقتصادية، وقد نشره عام ١٨٦٥م.
- وبالإضافة إلى هذه الكتب المهمة، كتب ماركس مجموعة من الرسائل تتناول مختلف الموضوعات السياسية والاقتصادية والفكرية والتي كانت سائدة فى عصره، وقد تبادل ماركس هذه الرسائل مع عدد من أصدقائه الثوريين الباريزين فى عهده.

٣ - فلسفة ماركس

مقدمة:

يمكن القول أن تيار الفلسفة الألمانية الذى انتهى عند «هيجل Hegel» و «فيورباخ Furbach» يعد المصدر المباشر الذى استمدت منه الفلسفة

الماركسية عناصرها الأولية فالجدل عند «هيجل» والمادية عند «فيورباخ»
قد تزوجا لينتج عنهما مركب هو.. الفلسفة الماركسية.

ولكن مع ملاحظة أن.. في الوقت الذى طبق فيه «هيجل» الجدل فى
مجال الأفكار، نجد ماركس قد طبق الجدل على المادة.

كذلك يمكن القول أن ماركس «ومعه صديقه انجلز» قد استنبط فلسفته
من الفلسفة الالمانية بصفة عامة، ومن الاقتصاد الإنجليزي الحر، ومن
الفكر السياسى الفرنسى. وقدم هو وانجلز نظرية متكاملة للتفسير
والتغير معا.

وسوف نعرض للفلسفة الماركسية من خلال النقاط التالية وبشيء من
الإيجاز الواضح ثم نعلق عليها فى النهاية..

١- المادية الجدلية:

إن الموضوع الرئيسى للمادية الجدلية هو حل المشكلة الأساسية فى
الفلسفة وهى مشكلة الفلاسفة بين الفكر والوجود أو الروح والمادة. وهى
تلك المشكلة التى عالجهما الفلاسفة منذ أفلاطون، واختلفوا فى تفسيرهم
حول علاقة الروح بالمادة أو النفس بالجسم حتى جاء ماركس وفسر هذه
العلاقة تفسيراً مادياً يتفق مع نزعته الأساسية.

ماذا يقصد ماركس بالمادة؟.. وما هى صور هذه المادة؟
المادة وصورها؟..

يعنى ماركس بالمادة البحتة أو المادة بمفهومها الفلسفى العام: الوجود
الخارجى المستقل عنها. وهذا يعنى أن هذه المادة تتميز بوجود موضوعى

خارجى مستقل عن شعورنا بها. ولكن بالرغم من استقلال المادة عنا إلا إنها تنعكس على شعورنا. واذا كان العلم يكشف لنا فى مراحل تطوره صور مختلفة للمادة فإن ذلك لا يعنى أن المادة تتلاشى وتفىنى ، وإنما يعنى ذلك - كما يقول لينين - اختلاف مواقعنا العلمية من «وحدة» المادة: فمثلا بالأمس كانت الذرة هى الوحدة، واليوم أصبح الأليكترون هو الوحدة وربما تكون الوحدة شيئا آخر غير الذرة والأليكترون فى الغد أو فى المستقبل وبالغم من ذلك تبقى المادة من حيث مفهومها العام ثابتة لا تتغير هى كما قلنا. وجود خارجى مستقل عنا.

وعلى ذلك يصبح العالم كله ماديًا محضًا، وكل ما فيه إنما هو صورة من صورة المادة.. ولكن هل المادة ساكنة لا تتحرك؟. وكل ما فى الوجود جامد لا يتحرك؟ يرى ماركس أن المادة ليست جامدة، وكل صورها فى الوجود ليس جامدا وإنما المادة وصورها تتحرك.. فى الزمان والمكان وعلى ذلك تصبح الصور الأساسية للوجود المادى هى:

الحركة والزمان والمكان...

فما هى الحركة والزمان والمكان؟..

يقول أنجلز: إن الحركة هى أسلوب وجود المادة، فلا توجد مادة بدون حركة إذن الحركة تكشف عن وجود المادة، وهذه الحركة أزلية ومطلقة. وفى مقابلها السكون الذى هو نسبى ومؤقت والحركة عند ماركس وأنجلز لها صور متعددة أهمها:

المادية الجدلية، والحركة الميكانيكية، والحركة الفيزيائية، والكيميائية والبيولوجية والاجتماعية. وعلى الرغم من تنوع وتعدد صور الحركة،

فإنها مترابطة وغير منفصلة ، ويرجع ذلك إلى الوحدة المادية للعالم. فالحركة ذات طابع كلي مطلق ، وكل صورة منها لها طابع كیفى خاص بها. وبذلك لا يمكن الفصل بين المادة والحركة. اما الزمان والمكان فهما صورتان كليتان لوجود المادة. والمكان والزمان عند ماركس لهما وجود موضوعى مستقل عن الإنسان ، فهما لا ينفصلان عن المادة المتحركة فى حين أن كانط يرى إن المكان والزمان صورتان فطريتان فى الإنسان.

٢ - الجدول وقوانينه:

ما معنى الجدول فى الفلسفة الماركسية؟.

إن الجدول يدرس العالم فى حركته الدائمة التى تكشف عن تغييره وتطوره. وعلى ذلك فالتطور هو المحتوى الأساسى لفكرة الجدول. ولكن كيف تفسر المادية الجدلية هذا. التطور؟

إن التطور عند الماركسيين هو حركة تتجه مما هو أسفل إلى ما هو أعلى ، من البسيط إلى المركب ، من القديم إلى الجديد. ولا يحدث التطور بشكل رتيب ، تدريجى وإنما هو يتم على شكل طفرة أو قفزة «كما يحدث فى التحول الكيمىائى» أى إنه يحدث على شكل إنقلاب ثورى فجائى.

وحركة التطور عند الماركسيين لا تسير فى خط مستقيم ، وإنما تسير على شكل لولبى أو حلزونى بحيث ينتج عن هذه الحركة سلسلة لولبية مكونة من حلقات.. كل حلقة أكثر عمقا وخصوبة وتنوعا من الحلقة التى تسبقها.

و لكن ما هو المحرك الأساسى للتطور أو للحركة الجدلية ؟
إنه التناقضات الأساسية الموجودة فى الظواهر أو الأشياء فمثلا.. قد نجد فى الشىء أو الظاهرة الواحدة.. ما هو حار وبارد، ما هو صلب ولين، ما هو حى وميت، ما هو أنانى وغير أنانى، ما هو يقظ ونائم. ولكن الشىء أو الظاهرة تعرف بالصفة الغالبة فيه، سواء كانت حرارة أو برودة، صلابة أو ليونة، فإذا تغلبت صفة الحرارة كان الشىء حارا وهكذا. وهذه الفكرة أشار اليها الفلاسفة القدماء.

إذن الظاهرة تحمل فى طبيعتها نقيضها، ولذلك عبر الماركسيون عن ظاهرة التناقض هذه بقانون وحدة الأضداد وهذا هو القانون الأول والأساس للجدل عند ماركس. وهذا القانون يكشف عن مصدر التطور والقوى التى تحركه، ويعطى لنا صورة واضحة عن تطور العالم وتحوله. وعلى سبيل المثال، المجتمع الرأسمالى يشتمل على البروليتاريا والبرجوازية. وكل طبقة منهما تفترض وجود الطبقة الأخرى. وعلى الرغم من وجود تعارض وصراع بينهما فإنهما يؤلفان وحدة النظام الرأسمالى. وهذا هو معنى وحدة الأضداد وصراعها.

أما القانون الثانى فهو قانون الانتقال من التغيير الكمى إلى التغيير الكيفى وهذا القانون يبين كيف يسير التطور. فالتغيير الأول وهو الكمى عبارة عن تغيير فى حجم الشىء أو الظاهرة بالزيادة أو النقصان أما التغيير الثانى وهو الكيفى عبارة عن تحول الشىء نفسه أو الظاهرة إلى شىء جديد أو ظاهرة أخرى جديدة. ويضرب ماركس مثلا يوضح به هذا القانون فيقول إن النظام الرأسمالى، إذا وقع له تضخم أو زيادة فى

الملكية التي فى أيدى البورجوازيين فإن النظام يثرى ويتدعم عن طريق زيادة أو تكدس الملكية. أما إذا أختفت الملكية الرأسمالية وحلت مكانها ملكية أخرى وهى الملكية الاشتراكية، فإن النظام الرأسمالى يختفى ويظهر بدلا من نظام آخر هو النظام الاشتراكى. وفى خلال عملية التطور تنتقل التغييرات الكمية تدريجا إلى تغييرات كيفية أساسية، ويتم هذا التغيير على شكل طفرة. ويرى الماركسيون أن التغيير من النظام الرأسمالى إلى النظام الاشتراكى يتم فجأة أى بالإنقلاب الثورى فى حين أن الانتقال من الاشتراكية إلى الشيوعية يتم تدريجا والملاحظة الآن أن النظام الاشتراكى هو الذى انتهى فى كثير من دول العالم وخاصة التى كانت تعرف بالدول الاشتراكية وحل محله النظام الرأسمالى. أى إن الأمور قد حدثت على عكس ما توقع ماركس.

أما القانون الثالث فهو قانون «سلب السلب» الذى يبرز الاتجاه العام للتطور فى العالم المادى، حيث يأتى الجديد ويحل مكان ما هو قديم، وهذه العملية - التى هى إحلال الجديد محل القديم - تسمى نфия أو سلبا، بمعنى أن الجديد ينفى القديم أو يسلبه وجوده فعلى سبيل المثال.. البروليتاريا مع أنها انبثقت من النظام الرأسمالى، ألا إنها تدخل فى صراع مع الطبقة البرجوازية حتى تقضى عليها وتحل محلها. وفى ذلك يقول ماركس: «إنه لم يحدث أى تطور فى أى مجال بدون القضاء على صور الوجود القديمة فمجتمع الرقيق قضى على الشيوعية البدائية، ومجتمع الإقطاع قضى على مجتمع الرقيق، والمجتمع الرأسمالى قضى على الإقطاع، والمجتمع الاشتراكى قضى على المجتمع الرأسمالى.

والملاحظ الآن أيضا أن المجتمع الرأسمالى هو الذى قضى على المجتمع الاشتراكى الذى أراده ماركس شاملا فى العالم. أى إن الأمور جاءت عكس ما توقع ماركس».

تلك هى قوانين الجدل، وهى التى تفسر المادية الجدلية. وهى أيضا تفترض أن العالم المادى كله مترابط، وأنه ينبغى دراسته بهذه الطريقة، وليس بالطريقة التى تتبعها العلوم الطبيعية الألية المتأثرة بالمنهج الميتافيزيقى التحليلى.

٣ - المادية التاريخية:

هى تطبيق للمادية الجدلية على تطور المجتمع. وهى أيضا عند ماركس تحل مشكلة فلسفية أساسية داخل نطاق المجتمع ألا وهى.. مشكلة العلاقة بين الشعور أو الفكر الاجتماعى والوجود. وعلى ذلك فهناك وحدة بين المادية الجدلية، والمادية التاريخية.

إن المادية التاريخية ترى أن الوجود الاجتماعى حقيقة موضوعية مستقلة عن الشعور الاجتماعى للإنسانية. وعلى ذلك يصبح الشعور انعكاسا للواقع المادى الخارجى سواء فى المادية الجدلية أو المادية التاريخية وهكذا يصبح تطور المجتمع قائم على اساس العامل الاقتصادى، وبعبارة أخرى الاقتصاد هو الذى يفسر تطور المجتمع.

بهذا تصبح المادية التاريخية قائمة على أساس فلسفى، وهى بذلك تحل المشكلة بين الوجود المادى والوجود الاجتماعى. وترى أن الأول سابق على الثانى، بل هو أصله ومصدره والمحرك الأساسى لتطور أشكال الحياة الاجتماعية.

وهنا يبرز سؤال.. وهو.. إذا كان كل تطور أو تغير يرجع إلى الحتمية التاريخية، فكيف أذن تتحقق حرية الإنسان؟.

يجيب الماركسيون عن ذلك بأن الناس عندما تدرك موضوعية الحتمية التاريخية، فإنه بذلك يتدخلون في سير العملية التاريخية عن وعى وإرادة، وبذلك تتحقق حريتهم، ويعنى ذلك أن حرية الإنسان، إنما تقوم على معرفة الإنسان «الحتمية الموضوعية» وتصميم إرادة الإنسان على استخدام هذه الحتمية لمصلحته ومنفعته.

هذا، وتعتبر الفلسفة الماركسية أن حجر الزاوية في المادية التاريخية هو قولها «إن أسلوب الإنتاج يلعب دورا حاسما في تطور المجتمع» فالعامل الحتمى الوحيد، أو المحرك الأساسى فى تطور المجتمع هو أسلوب الثروة المادية. وهنا يجب أن نفرق بين أسلوب الإنتاج، وقوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج.

وهكذا فالتاريخ البشرى يقوم على أساس مادية. ويخلص ماركس من ذلك إلى القول بأن نظام الإنتاج هو العامل النهائى والحاسم الذى يقرر شبكة العلاقات الإنسانية.

٤ - الصراع الطبقي:

يرى ماركس أن صراع الطبقات يلعب دورا أساسيا فى عملية التطور الاجتماعى. ولما كان كل مجتمع له «أساسه الاقتصادى» والذى يميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى. أصبح «النظام الاقتصادى» لأى مجتمع هو الذى يحدد تركيب طبقاته وعلاقاتها بل وأفكارها. وبعبارة أخرى،

لما كانت ظروف الناس وأحوالهم المعيشية هي التي تحدد تفكيرهم وسلوكهم، فإن الطبقة الاجتماعية لا بد أن تتكون من الناس الذين تتشابه ظروفهم المعيشية، وهؤلاء يتكثلون ضد الطبقات الأخرى والتي تتعارض مصالحها مع مصالحهم، ومن هنا ينشأ الصراع بين الطبقات بسبب تعارض المصالح.

وسوف يتخذ الصراع بين الطبقات أشكالا مختلفة، اقتصادية أو سياسية أو أيديولوجية، وكل هذه الأشكال سوف تمهد للثورة الاشتراكية التي هي ثورة البروليتاريا. وهي الوسيلة الوحيدة في نظر ماركس للقضاء على أسباب هذا الصراع. وهذا الصراع هو تعبير عن التناقضات الأساسية بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج أى بين أسلوب الانتاج وصور ملكية وسائل الانتاج وبذلك يكون الصراع محركا لعملية التطور الاجتماعى ومحققا لأشكال جديدة اجتماعية حتى نصل فى النهاية إلى شكل المجتمع الشيوعى الذى تتلاشى فيه الطبقات وهنا تنقضى عوامل الصراع.

٥- نظرية المعرفة عند ماركس:

يرى ماركس أن الإنسان سوف يعرف العالم عن طريق حواسه، وهذه الحواس سوف تمد الإنسان بمعرفة صحيحة عن هذا العالم. وليست هذه المعرفة مشيدة لموضوعات العالم الخارجى، وإنما العالم الخارجى له موضوعيته الخالصة التى تجعله مستقلا ومنفصلا عن شعور وفكر الإنسان، هذا على الرغم من أن الشعور أو العقل الإنسانى قد تكون

أصلا من صورة معقده للمادة المتطوره كما ذكرنا سابقا. فالمعرفة عبارة عن انعكاس صيرورة الاشخاص الأشياء على النفس بحيث لا يكون هناك فكر منفصل عن الواقع الخارجى، بل يوجد واقع خارجى ينعكس على صفحة النفس فتدركه فى تمام طبيعته المادية ونتيجة لذلك يصبح مقياس الحقيقة ليس فطريا أو منطقيا وإنما هذا المقياس يرجع إلى العمل وعلى ذلك يصبح العمل هو المحل الوحيد لصحة المعرفة وبعبارة أخرى يكون التطبيق هو مقياس صحة الفكر. وهنا تتشابه الماركسية مع الباجماتية حيث يرى بعض النقاد أن الماركسية والبراجماتية قد صدر عن فلسفة كانت، إلا إنه حدث تمايز بينهما نتيجة لاختلاف الاطار المذهبي العام عند كل الماركسية والبرجماتية.

٦ - نظرية فائض المعرفة:

إن هذه النظرية تقوم على أساس أن.. قيمة كل سلعة تعتمد على مقدار العمل النافع اجتماعيا والمجسم فى تلك السلعة. ولهذا فإن العمل هو المصدر المشروع لكل قيمة. وببساطة فهذه النظرية تعنى إن أصحاب رءوس الأموال يستغلون العمال أكثر من الوقت الذى يعملونه، وفائض هذا الوقت ينتج عملا يستفيد منه الرأسمالى فقط، ولا يستفيد منه العامل. فإذا كان وقت العمل الرسمى ٨ ساعات فإن صاحب رأس المال يجعل العمال يعملون ١٠ ساعات مثلا، ويعطيهم فقط أجر ٨ ساعات، والفرق هو ساعتين عمل يعود ربحه إلى أصحاب رأس المال فالعامل يحصل هنا على الحد الأدنى الضرورى للاجر لمجرد المعيشة

والكفاف ، ويسرق منه الراسمالى فائض عمله . وليس هذا الحد الأدنى للكفاف سوى جزء من القيمة التى خلقها العامل بجهدده أما الباقي فى ذهب إلى الرأسمالى مما يؤدى إلى تكديس الاموال لدى الرأسمالى بحيث نجد إن الغنى هو الرأسمالى يزداد ثراءً والفقير وهو العامل يزداد فقراً . وهذا نوع من إستغلال الإنسان للإنسان . وهو فى نفس الوقت يسيء إلى العلاقات القائمة بين العمال وصاحب العمل ، مما يدفع العمال إلى التكتل والتوحد أمام الرأسمالى للحصول على حقوقهم . وهذا يعنى الصراع الطبقي الذى تحدثنا عنه سابقاً . والذى سوف يؤدى فى نظر ماركس إلى ثورة البرولتاريا على البرجوازيين وسحقها للحصول على فائض القيمة اى الحصول على القيمة الحقيقية لجهدهم وعملهم ، وهذا لا يتم إلا بالقضاء على الطبقة البرجوازية واستيلاء البرولتاريا على السلطة فى الدولة واقامة حكومة البرولتاريا التى تحقق لهم مطالبهم وترد لهم حقوقهم فى العمل والتى سرقها منهم أصحاب رأس المال .

تلك هى أفكار ماركس وآرائه والتى أقامها على أسس مادية جعلته ينكر الدين معتقداً أنه أفيون الشعوب . وسوف نعرض الآن بالنقد لهذه الآراء والأفكار .

٤ - ملاحظات نقدية لآراء وفكر ماركس :

سوف نعرض لهذه الملاحظات كما يلي :

أ - يدعى ماركس بأن نزعتة أو فلسفته المادية تتسم بالطابع العلمى ، ولكن النقاد يرون أن هذا الأذعاء لا يقوم على أسس من المنطق

العلمى نفسه ، فنحن نعلم أن العلم لا يؤمن إلا بما تقدمه الملاحظة والتجربة ، وما كان خارجها عنهما فإن الباحث التجريبي لا يقطع برأى فيه. أما ماركس فإنه يقرر أن الموجودات المادية هي الموجودة وحدها ولا شىء غيرها. وفى الحقيقة هذا قول بدون سند من الملاحظة أو التجربة.

ب - اعتناق ماركس للفلسفة المادية جعله ينكر القيم الروحية ، ويعتبر الدين معوقا للتطور الاجتماعى ، وأنه مخدر وأفيون للشعوب ومعطل لانطلاق طاقاتهم وابدعاتهم ولهذا حاربت الشيوعية الأديان بعنف مع العلم أن الأديان تلعب دورا حاسما فى حياة البشر بما تقدمه من قيم ومثل نبيلة. ويمكن القول أن ما تعانيه الحضارة الغربية الآن يرجع فى مجمله إلى ما هو مادي وتركها لكل ما هو روحى ومعنوى ، وانغماس الشباب بصفة خاصة فى الماديات. وفى ذلك يقول الفيلسوف الفرنسى المعاصر الشهير «روجيه جارودى»: إن الحضارة الغربية هي حضارة مادية بحتة ، ولذلك فإن الإنسان قد فقد مقوماته كإنسان ، والملجأ لعودة الإنسان إلى ذاته هو اعتناقه للإسلام. ولذلك أشهر «جارودى» إسلامه.

ج - وحدانية التفسير الاقتصادى برغم أهميته أمر لا يتسق وتاريخ البشر فكل حادث تاريخى ينطوى على عنصر إقتصادى ، ألا إنه من الخطأ إرجاع التطور التاريخى كله إلى عوامل اقتصادية بحتة فقط.

- د - حرية الإنسان، سلبها ماركس وحصرها فقط فى وعيه وفهمه للتطور الحادث فى العالم الخارجى حتى حركة التطور لا دخل لإرادة الإنسان فيها، وإنما هى ترجع إلى القوانين الإجتماعية.
- هـ - إن الماركسية فى سبيل اقامة المجتمع الشيوعى ألغت وجود الإنسان، فهذا الإنسان لا دخل له فى وجوده، وإنما المجتمع هو الذى يشكل الإنسان ويكونه ويوجهه كيفما يشاء..؟
- و - فكرة الصراع الطلقى ليست فكرة جديدة، ابتكرها ماركس، وإنما سبقه إليها كثير من المفكرين مثل: ترجو، ميرابو، هولباخ. وحتى مع التسليم بوجود هذا الصراع إلا إنه من الخطأ ارجاع التطور التاريخى إلى هذا الصراع وحده.
- ز - إن الشكل الشيوعى والذى سينتهى إليه التطور الإجتماعى، حسب رأى ماركس، لم يتحقق حتى فى روسيا نفسها، بل أن وقائع التاريخ أثبتت منذ عام ١٩٨٩م انهيار الشيوعية فى معظم منظومة الدول التى كانت تؤمن بالشيوعية.
- ح - إن نظرية فائض القيمة ترجع فى أصولها إلى نظرية القيمة عند آدم سميث وريكاردو وقانون الأجور الحديدى. وإلى نظرية فائض القيمة عند طومسون وسيسموندى. ونلاحظ أن ماركس فى تحديده للقيمة يرجعها فقط إلى العمل اليدوى ويهمل العمل الذهنى كما أنه يهمل نصيب رأس المال فى الربح والابتكار فى عائدات الانتاج. وبالرغم من كل ذلك فأذا كنا نختلف مع ماركس فى آرائه وأفكاره، والتى اختلفت باختفاء الاتحاد السوفييتى ومنظومة الدول الشيوعية التى

كانت تدور في فلكه فإننا لا نستطيع أن نتجاهل هذه الآراء والأفكار التي أثرت الفكر الإنساني منذ نشأتها حتى قرب نهاية القرن العشرين. ولا زالت بعض الدول في آسيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية تؤمن ببعض هذه الأفكار والآراء. بل يمكن القول أن نظرية «الطريق الثالث» التي أعلنها كل من «كلينتون وبلير» تأخذ ببعض أفكار ماركس وخاصة فكرة العدالة الاجتماعية والتنمية.

ملاحظة مهمة:

ما دفعنى إلى الكتابة عن «ماركس» هو ما سألنى عنه كثير من تلاميذى من الشباب عن «ماركس» وأفكاره عن المادية الجدلية، والحتمية التاريخية والصراع الطبقي ونظرية فائض القيمة وغير ذلك من أفكار ومفاهيم «ماركس» حتى عن معنى الشيوعية. ومعظم هؤلاء الذين سألوني من الذين لم يعايشوا الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية الأخرى قبل انهيارها، أو سمعوا عنها فقط. وقد آثرت بناء على ذلك أن أكتب عنه باختصار وبوضوح وسهولة في العرض إلى حد كبير.

